إحساسه وعواطفه ، بيد أنها قليلة إذا عدت بالنسبة لفخره بقبيلته وقومه وماله من جود، وما هم عليه من كرم وشجاعة ونبل ، وبيان وحكمة .

وذلك دليل على ما كان يتمتع به الشاعر فى العصر الجاهلى من حرية فكرية ينعكس أثرها على شعره ، كما تدل على أنه كان مدفوعًا إلى ذلك بدافع قبلى وطابع غرزى ، والطابع القبلى والغريزة هما الدافعان إلى امتداح قومه والفخر بما لهم من جود وعزة يعطينا فهمًا آخر وهو شدة التماسك والوحدة بين أفراد القبيلة بدافع العصبية .

خامس عشر : وحدة المعانى وتنوع الصور :

تدور الموضوعات فى الشعر الجاهلى حول معان كثيرة متعددة ، فنرى المعنى الواحد يتعاوره أكثر من شاعر ، كما أننا نرى الظاهرة البارزة فى أشعارهم هى الحديث عن المرأة ، والقبيلة ، والخيل ، والليل ، والإبل ، ووصف أدوات الحرب مثل : الدرع والترس ، والسهم ، والقوس ، ووصف الحيوانات والحمر الوحشية وذلك دليل على أن الشاعر الجاهلى وثيق الصلة ببيئته كما أومأنا إلى ذلك انفًا ، كما يدل على تأثره الشديد بها ، ومع ذلك فإننا نرى الصورة مختلفة فكل شاعر له خياله وتأملاته ، وبراعته فى التصوير ومن هنا تجىء المعانى متحدة لكن الصورة تختلف عن أختها .

سادس عشر : المحافظة على التقاليد الشعرية :

اشتهر الشعر الجاهلى بالمحافظة على التقاليد الشعرية حيث إنهم كانوا يبدأون قصائدهم بالغزل والبكاء على الأطلال والدمن البوالى ، وبخاصة فى القصائد الطوال الشهيرة بالمعلقات فكانت لها افتتاحية واستهلال خاص ، على الرغم من ذلك نرى الافتتاحيات متنوعة ، فكان الشاعر يفتتح طويلته بما يناسب حاله وما سيتحدث عنه .

سابع عشر : المادية والحسية :

إن الموضوعات التى عالجها الشعر الجاهلى كانت معالجة مادية بمعنى أن الحديث عنها كان من المناحى الحسية حتى ما كان منها معنويًا نجده قد أصبح محسًا مشاهدًا مرئيًا رأى العين ، فالفخر يدور الحديث فيه عن قوة السلاح وكثرة العدد ، وقتل الأعداء وأسرهم والغنايم والاستيلاء على الدور والمنازل ، وشرب الخمر ولعب الميسر وإتلاف

الأموال ، وكذلك كان المديح بالشجاعة والكرم والفروسية وما إلى ذلك من الأوصاف التى كانوا يعدونها بطولة وشجاعة وفروسية وكان الهجاء بالبخل والجبن وعدم خوض المعارك أو حب الشر .

أما الغزل فكانت السمة الغالبة فيه التغنى بالأوصاف الجسدية للمحبوبة وهكذا برزت الناحية الحسية فى الشعر الجاهلى بصورة واضحة ، ولعل ذلك راجع إلى الظروف المحيطة بالشعراء الجاهليين حيث الشظف والمجل والقحط وشيوع البؤس والعدم ، والإنسان فى البيئة الفقيرة إنما يتجه إلى المناحى المادية التى تعود عليه بنفع مادى ، أما المعنويات فهى فى المرتبة الثانية بعد أن يطمئن إلى ما يقيم به الأود ، ويسد به الرمق ، وكان حظ الجميع من الناحية الثقافية ضئيلاً حيث إن الثقافة الواسعة توسع المدارك ، وترتقى بالإنسان فوق الماديات وتحمله إلى آفاق المعنويات ، حيث يتسع الأفق ومجال الفكر والإدراك ، والعرب فى ذلك الوقت كانت سبل الحياة أمامهم شاقة وعسيرة ، والعلاقات الاجتماعية بالنسبة لهم يسيرة ، وما كانوا يعرفون من ثقافات غيرهم كثيراً ، فلم تتهيأ لهم الظروف للثقافة الواسعة التى تفتح القلوب على آفاق المعنويات .

ثامن عشر : يسر المعانى وبساطة التفكير :

كانت المعانى التى يتضمنها الشعر الجاهلى بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض ولا إغراق فى التفكير ولا عمق ، حيث كانت حياتهم فطرية جاءت خلواً من التعقيد ، فالتعقيد دائمًا يصحب المدنيات والتى من شأنها تعقيد حياة أهلها . وتكثر مشكلاتهم وتصبح فى حاجة إلى تفكير عميق والبحث عن إيجاد حلول لهذه المشكلات . وفى الحقيقة أن الشعر الجاهلى جاءت معانيه يسيرة سهلة بحيث يستطيع السامع أو القارئ إدراك معانيها دونما حاجة إلى إعمال فكر أو كد ذهن ، فلأول وهلة يستطيع أن يتعرف مقصود الشاعر ، كما أنه يستطيع أن يقف على مواطن الجمال وما ذلك إلا لأن أصحابها كانوا يحيون حياة فطرية بسيطة واضحة غير معقدة[1] .

---

(١) فى تاريخ الأدب الجاهلى . د/ على الجندى ص٤٤٩ بتصرف ط دار المعارف ، القاهرة .

تاسع عشر: الصدق الفنى والصلة بالبيئة:

ويتجلى الصدق الفنى بوضوح فى الشعر الجاهلى وهو صدق الشعور ، وقوة العاطفة ، كما أن الأفكار مستقاة من البيئة الصحراوية ، فمظاهر الصحراء والحياة الجاهلية فى ربوعها مصورة فى الشعر الجاهلى أحسن تصويراً ، وهذا يدل على شدة اتصال العربى ببيئته وتأثره بها ، وإحساسه التام وكل ما فيها ، ودقة ملاحظته لكل ما حوله ، والصورة الشعرية كلها مأخوذة من البيئة ، إما من ظواهر الطبيعة الصامتة أو الحية ، وإما من مظاهر الحياة التى تجرى أمامهم كل يوم ، وإما من المختزن فى مخيلتهم من الصور النابعة من البيئة الصحراوية ، أو الصور التى يؤلفها خيالهم وعليها طابع البيئة الصحراوية ، أو أثر من آثارها أو من وحيها وإلهامها ، وأصدق دليل على ذلك تأثر السامعين به ، فإن معانى أشعارهم تنحدر إلى القلب بمجرد مصافحتها للآذان ، وتسرى فى نفوسهم سريان الدم فى أجسادهم وللآن نسمعها فتتحرك مشاعرنا وتتأثر عواطفنا وننفعل بها مع طول العهد ومضى الزمن ، ولا يتأتى ذلك إلا من صدق الشعور ، والعاطفة الجياشة ، ورهافة الإحساس ، فجاء تصويرهم صادقًا وبديعًا تتجاوب معه النفوس والمشاعر فى أى عصر من الأعصر .

ثم نرى أن الشاعر بعد افتتاحيته ينتقل فى براعة إلى غرض آخر كالمديح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر أو الوصف ، وربما نراه قد جمع بين كل هذه الأغراض ، فالقصيدة الواحدة تضم أكثر من غرض ، وتتجلى مهارة الشاعر فى أن يربط هذه الموضوعات وأن يجيد الانتقال من غرض إلى آخر بيد أن أهمها الوقوف على الأطلال وبكاء الرسوم والآثار التى عفت ودرست وانمحت آثارها .

وقد يبدأ الشاعر بخطاب الرفاق مثل قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال

ترى بعر الآرام فى عرصاتها ... وقيعانها كأنه حب فلفل

---

(١) الديوان ص٨ تحقيق أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثانية - دار المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م .

ولذلك قيل : إنه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وكانت مهمة الرفيق فى هذه المواقف تهدئة ذلك المحب المتيم ، الحزين الباكى ، والمستهام الشاكى ، على فراق المحبوبة وخلو دارها منها ، وحرمانه عذب حديثها ، وملاطفتها إياه ، كما كانت مهمة الرفيق الترويح عن نفس الشاعر العاشق ، وتسرية الهم والحزن عنه ، حين يستبد به الجزع ، وتسيطر على مخيلته الذكريات فنرى الشاعر يصف موكب الحبيبة وتحركاته وسط الوهاد ، وبين الأودية والنجاد . ومتشعبات الطريق حتى يتوارى الموكب عند ناظرته ، ثم ينطلق إلى وصف جمالها ومفاتن جسدها ، وعذب منطقها ، وحلو حديثها .

وقيل فى تفسير هذه الظاهرة إنه كان يعمد إليها ليستولى على ألباب السامعين ، ويستمعون إلى شعره باهتمام بالغ ؛ ومع ميلنا إلى هذا التفسير إلا أننا نرى أن الشاعر الجاهلى فى ذلك الأمر كان صادق الشعور قوى العاطفة ، يعبر تعبيراً صادقًا ودقيقًا عما يجول فى نفسه من خواطر وذكريات عاشها والتذ بها واستمتع بكل لحظة من لحظاتها ، فكان فى قوله ووصفه مدفوعًا بشعور ذاتى داخلى نابع من نفسه وحسه فهو تعبير أصيل وصادق غير دخيل ولا مفتعل ، ولو كان دخيلاً أو مفتعلاً لما كانت له تلك الجاذبية وهذا الجمال الساحر الذى يخلب الألباب ، ويستهوى الأفئدة ويستحوذ على المشاعر ويملك أزمة القلوب .

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - أخبار عبيد بن شرية .

٢ - أسس النقد الأدبى عند العرب / أحمد أحمد بدوى - القاهرة - دار نهضة مصر ١٩٧٩م .

٣ - إعجاز القرآن - الباقلانى / تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة - دار المعارف .

٤ - أمالى المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٥ - أنباء الرواة على أنباء النحاة - للقفطى - القاهرة - طبع دار الشعب .

٦ - إمتاع الأسماع - للمقريزى .

٧ - الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الشعب .

٨ - الإسلام والمستشرقون د/ محمد الدسوقى - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٢م .

٩ - الاشتقاق - لابن دريد - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة - مكتبة الخانجى .

١٠ - الإصابة فى أخبار الصحابة .

١١ - الأصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف - دون تاريخ .

١٢ - الأغانى - لأبى الفرج الأصفهانى - القاهرة دار الكتب المصرية .

١٣ - الأمالى - لأبى على القالى - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥م .

١٤ - البيان والتبيين - للجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام هارون الطبعة الخامسة ، القاهرة - الخانجى ١٤٠٥ - ١٩٨٥م .

١٥ - الحماسة : لأبى تمام .

١٦ - الحيوان : للجاحظ تحقيق هارون طبع مصطفى الحلبى ط الثانية .

١٧ - الخصائص : لأبى جنى طبع وتحقيق محمد على النجار - دار الكتب المصرية .

١٨ - السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث : لمحمد الغزالى - القاهرة ، الشرق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٩ - الشعراء الصعاليك : يوسف خليفة القاهرة - دار المعارف .

٢٠ - الشعر الجاهلى تطوره وخصائصه الفنية : بهى الدين زيدان ، القاهرة ، دار المعارف .

٢١ - الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، القاهرة - دار المعارف ١٣٣٢هـ .
٢٢ - الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس - القاهرة طبع المؤيد .
٢٣ - الصناعتين : لأبى هلال العسكرى تحقيق د/ مفيد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٤ - العصر الجاهلى : شوقى ضيف القاهرة . ط دار المعارف .
٢٥ - العقد الفريد : لابن عبد ربه طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٢٦ - العمدة : لابن رشيق القيروانى ط دار الجيل بيروت ، لبنان .
٢٧ - الفهرس : لابن النديم ت/ رضا - تجدد .
٢٨ - المؤتلف والمختلف : للآمدى ط أولى دار الكتب العلمية ، لبنان .
٢٩ - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين الأمير ت د/ أحمد محمد الحوفى و د/ بدوى طبانة ط نهضة مصر ١٩٧٣م .
٣٠ - المزهر : للسيوطى .
٣١ - المفضليات : للضبى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣م .
٣٢ - الموشح : للمرزبانى شرح وتعليق المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، دون تاريخ .
٣٣ - النقائض : لابن عبيدة ، معمر بن المثنى ، القاهرة ، طبع الصاوى ١٩٣٥م .
٣٤ - ألوان : طه حسين ، القاهرة ، دار المعارف .
٣٥ - الوزراء والكتاب : للجهشيارى القاهرة ط الحلبى .
٣٦ - بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : تأليف محمود شكرى الألوسى تحقيق محمد بهجة الأثرى الطبعة الثانية ، القاهرة . المكتبة الأهلية ، دون تاريخ .
٣٧ - تاريخ آداب العرب : للرافعى دار الكتاب العربى لبنان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
٣٨ - تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجى زيدان . القاهرة دار الهلال ١٩٥٧م .
٣٩ - تاريخ الأدب العربى : لأحمد حسن الزيات ، القاهرة ، دار نهضة مصر .
٤٠ - تاريخ الأدب العربى : البلاشير .
٤١ - تاريخ الطبرى .
٤٢ - ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى . دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .
٤٣ - جذور البلاء : عبد الله التل . القسم الأول ، نشر المكتب الإسلامى ط ٢ دمشق ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٤٤ - جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام . لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى .
٤٥ - جمهرة خطب العرب للأستاذ / أحمد زكى صفوت الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م .

٤٦ - خزانة الأدب . لابن حجة الحموى ١٣٧٣هـ طبع بولاق .
٤٧ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، البغدادى تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .
٤٨ - ديوان الأعشى الكبير : شرح وتعليق د/ محمد حسين نشر مكتبة الآداب بالجماميز ١٩٧٩م دون .
٤٩ - ديوان امرئ القيس : ت محمد أبو الفضل إبراهيم .
٥٠ - ديوان : حافظ إبراهيم ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠م .
٥١ - ديوان : حسان بن ثابت .
٥٢ - ديوان : زهير بن أبى سلمى .
٥٣ - ديوان : طرفة بن العبد البكرى .
٥٤ - ديوان : عبيد بن الأبرص .
٥٥ - ديوان : عمرو بن كلثوم .
٥٦ - ديوان : النابغة الذبيانى ط دار المعارف ، القاهرة .
٥٧ - ذيل الآمالى : لأبى على القالى .
٥٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . لبنان ، دار المعرفة .
٥٩ - شرح القصائد السبع الطوال - الجاهليات لابن الأنبارى . تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة دار المعارف الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٦٠ - شرح المعلقات السبع : الزوزنى .
٦١ - شرح المعلقات العشر : للخطيب التبريزى . تحقيق فخر الدين قباوه . القاهرة ، دار المعارف .
٦٢ - شرح ديوان الحماسة : للمرزوقى . القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
٦٣ - طبقات ابن سعد .
٦٤ - طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى المتوفى سنة ٢٣٠هـ القاهرة المطبعة المحمودية .
٦٥ - طبقات فحول الشعراء : لابن سلام الجمحى القاهرة المكتبة المحمودية .
٦٦ - فى الأدب الجاهلى طه حسين ط٤ القاهرة دار المعارف .
٦٧ - في تاريخ الأدب الجاهلى على الجندى دار المعارف القاهرة .
٦٨ - كتاب قواعد الشعر : للثعالبى .
٦٩ - كتاب الخيل .
٧٠ - كتاب المعمرين من العرب : لأبى حاتم السجستانى تصحيح الخانجى ١٩٠٥م .

obeikandl.com

٧١ - لسان الميزان : لابن حجر العسقلانى .
٧٢ - مختار الصحاح للرازى طبع دار نهضة مصر ، القاهرة .
٧٣ - مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى .
٧٤ - مصادر الشعر الجاهلى ناصر الدين الأسد ، القاهرة دار المعارف .
٧٥ - مقدمة ابن خلدون طبع دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .
٧٦ - معجم الأدباء لياقوت الحموى الطبعة المأمونية .
٧٧ - معجم الشعراء للمرزبانى ط أولى - مكتبة القدس - دار الكتب .
٧٨ - مغازى الرسول : لأبى عبد الله محمد بن عمرو الواقدى . القاهرة جماعة نشر الكتب القديمة ١٩٤٨م .
٧٩ - من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى - سعد ظلام ، القاهرة ١٩٨٤م .
٨٠ - مهذب الأغانى .
٨١ - نزهة الألباء لابن الأبيارى .
٨١ - نسب قريش : لأبى عبد الله المصعب بن عبد اللاه بن المصعب .
٨٢ - نقد الشعر الجاهلى للأستاذ محمد فريد وجدى .
٨٤ - نقد النثر : لقدامة بن جعفر البغدادى .

obeikandl.com